

كلمة التحرير: المبادرة والفعل الحضاري

"المعنى الحقيقي للتّنوير هو أن ننظر بأعيننا المتوهّجة إلى كلّ بقعة من بقع الظلام"
الكاتب اليوناني نيكوس كازانتزاكيس (ت. 1957)

هل يختلف اثنان اليوم على الحكم بأنّ الواقع العربيّ موسوم بالبؤس والانحطاط والتخلّف على جميع الأصعدة؟ وهل ينبغي أن نتوقّف عند هذا الحكم بأسا وإحباطا؟

لا شكّ أنّ الجواب على السّؤالين هو النّفي على وجه القطع. وإن كان من القول النّافل أنّ الأزمة العربيّة الشاملة تزداد، بمرور الوقت، تعمّقا واتّساعا، والهوّة بيننا وبين العالم المتقدّم ما تنفكّ تتضاعف بوتيرة متسارعة، حتّى أصبح كلّ تردّد أو تهاون عطالةً مدمرةً. ولا مرأى في أنّ كلّ فعل حضاريّ ضخم ينشد الخروج من حالة التخلّف والتبعيّة والضعف لن يكون من دون جراحات ومن دون آلام، وهو ما لم نجروا عليه، إلى حدّ اللّحظة، ذلك أنّ التصلّب الذهني، وعبادة الأصنام الحديثة من عادات وتقاليد وموروثات ما تزال بالغة السّطوة والتّفوذ على النفوس والعقول. وتقع على عاتق المفكّر الحرالمغامر مهمّة زحزحتها عبر التّفكير/التّفلسف بالمطرقة، كما قال نيتشة، فالمطرقة وحدها قادرة على كسر الأصنام، غير أنّ الطّرق المنفرد لا يصنع مشروعاً فاعلاً ومجدياً، بل ينبغي أن يتّخذ هذا المشروع أبعاداً واسعة، وأن ينتشر أفقيّاً ليصبح قناعة جماهيرية، إذ لا بدّ لكلّ دعوة من فئة تنصره وتدافع عنه، وترى فيه أملاً لتحقيق أهدافها ومصالحها.

هناك مشاريع للّهضة والتّنوير. نعم. ولكّتها مشاريع متناثرة، متباعدة، وليس لها من الأنصار والمدافعين عنها، المرّوجين لأفكارها وقيمها غير فئة نخبويّة قليلة من داخل الفضاء الأكاديمي، ولم تتجاوزها إلى الدوائر الحزبيّة والنّقابيّة وسائر المنظّمات وهيئات المجتمع المدنيّ المختلفة، فتكون محلّ نقاش مستمرّ وحوارات واسعة تغتني بها تلك المشاريع والأفكار، وتبسّط خلالها المقولات والرّؤى.

ترتّباً على ما تقدّم، فإنّه لا يحقّ للمفكّر العربيّ المعاصر أن يتشرنق في برجه العاجي، وأن يتلذذ بممارسة تأملاته في ترف ودعة، كما لو أنّ ما يحيط به من خراب لا يعنيه، ذلك أنّ اللّحظة الحضاريّة، التي هي قدره، تفرض عليه الانخراط في العمل/التّفكير في سبيل الخروج من المأزق التّاريخي الذي تردّت فيه أمّته. وليس له أن "يهرب من وجه قضيبته"، ولا الاستسلام إلى تأملات تخصّ الإنسان عامّة، بالرغم من أهميّة تلك التأمّلات، ومن مشروعيتها، على ألاّ تصبح ضرباً من الهروب إلى الأمام، وشكلاً من أشكال تزييف الوعي.

إنّ وعي اللّحظة الحضاريّة في أبعادها وخصوصيّاتها يفرض حتماً أن يكون الفكر "موجّهاً" ومصوّباً تصويباً دقيقاً نحو البحث عن الحلول النّاجعة للشّواغل الحقيقيّة. إنّ يكنّ هذا ضرباً من الإيديولوجيا. فليكنّ. إذ من شأنه أن يجنّبنا كلّ إمكانيّة لإثارة القضايا الرّائفة، أو تلك التي تعيشها مجتمعات حقّقت

قدرا من التقدّم يتيح لها الخوض في مشكلات وقضايا تعتبر من منظورها الفكري والإيديولوجي وموقعنا التاريخي والحضاري، نوعا من التّرف.

في هذا السّياق، وانطلاقا من هذا الوعي الحادّ بمتطلّبات اللحظة الحضاريّة تعمل مجلة "نقد وتنوير" على بلورة وعي تنويريّ نهضويّ شامل بجهد متّصل دؤوب عبر أعدادها المتتالية. ومنها هذا العدد الخامس عشر الذي يصدر ثرثا متنوعا، وقد أثّته كتاب وباحثون أكاديميّون من الشّرق والغرب العربيّين. وطرحوا فيه إشكاليات تربويّة وحضاريّة وسوسيولوجيّة وفلسفيّة وأدبيّة... تأتلف جميعا في طابعها النّقديّ.

يضمّ هذا العدد واحدا وعشرين بحثا، توزّعت في غير تساوي اللّغات الثّلاث: العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة. وتباينت شكلاً بين الدّراسات والبحوث وبين المقالات الأكاديميّة ومراجعة الكتب والترجمة. وينتسب بعضها إلى الدّراسات الدّينية والحضاريّة والفلسفيّة وبعضها الآخر إلى المباحث التربويّة، وتنخرط أخرى في الدّراسات الأدبيّة أمّا الصنف الرّابع فيبحث في قضايا سوسيولوجيّة وفنيّة.

من الدّراسات الدّينية والحضاريّة والفلسفيّة ما تناول بالدّرس والتحليل والتّفكيك "إشكاليّة توافق الحرّيّة والمساواة"، و"إشكاليّة العدالة بين الأخلاق والسّياسة..."، ونظر بعضها الآخر في "سؤال المنهج، ... بين العلم والفلسفة"، وتوسّل آخر المنهج الأنثروبولوجيّ لتبيّن كيفيّة تشكّل الممارسة الدّينية الإسلاميّة، وبمنهج تحليلي نقديّ، راجع أحد كبار الباحثين السّوسولوجيّين العرب "التّزعات التّأويليّة في سوسيولوجيا ماكس فيبر" في ضوء المرتكزات الأيديولوجيّة التي نهض عليه الطّرح الفيبريّ. واختار أحد الباحثين تفكيك المخيال العربيّ المعاصر عبر ممارسة ضرب من الحفر الأركيولوجيّ في صورة شخصيّة تراثيّة مهمّة هي شخصيّة عليّ بن أبي طالب، والمقارنة بين خصائصها وتمثّلاتها في مرجعيّتين مختلفتين: السّير السّنّيّة والشّيعيّة الحديثة الخ... ومن المباحث التربويّة، نذكر اهتمام بعض الباحثين بالصّعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التّدريس في نشر بحوثهم العلميّة، منطلقين من نماذج محدّدة، متوسّلين مناهج إحصائيّة ووصفيّة... وانصرف آخرون إلى النّظر في مدى حياد المؤسّسات التربويّة عن التوظيف الإيديولوجيّ والسياسيّ، وأهميّة هذا الحياد منهجيّا ومعرفيّا الخ... وانخرطت المقالات والدّراسات الأدبيّة في بعض المباحث منها: الشّعور في المدرسة، ومدى اهتمام المؤسّسة التّعليميّة الرّسمية في تونس بالشّعور "المحلّي" الحديث، واختار آخرون المقاربة السّيميائيّة للنّظر في تحولات الجسد الضّاحك، من إيقاع الحركة إلى إيقاع الباروديا انطلاقا من أرجوزة ابن الزّمكدم، وفي باب النّقد الرّوائيّ، انصرف أحد الباحثين إلى النّظر في آليات اشتغال المرجعيّ في الرّواية الواقعيّة، منطلقا من رواية "الحبّ في رقادة" لأحمد مال الخ... أمّا الصنف الرّابع من البحوث والدّراسات والمقالات، فيبحث في قضايا سوسيولوجيّة وفنيّة، ومنها: "التنشئة الاجتماعيّة زمن التكنولوجيا" و"تقنية توزيع الضوء والظل بين الفن التشكيلي والفن السينمائي" الخ...

ويسرّنا في نهاية هذا التّقديم الموجز أن نتقدّم بواقر الشّكر وأخلصه إلى كلّ من ساهم في تأنيث هذا العدد وتصويبه وتحكيمه وإخراجه في أبهى صورة وأكملها.

مدير التحرير: د. امبارك حامدي